



كثيرا ما يقف الدعاة والمجاهدون وهم في منتصف الطريق، يتساءلون عن نصر الله - عز وجل-، وهم قد يخوضون المعارك، ويقدمون التضحيات، ويبدلون الدماء والأرواح والمهج، فيستبطنون النصر، ويقفون أمام الله قول الله عز وجل: (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) وقوله تعالى (ولينصرن الله من ينصره)

ويجبنا سيد -رحمه الله- على هذه التساؤلات بقوله : (والنصر قد يبطل على الذين ظلموا، وأخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، فيكون هذا الإبطاء لحكمة يريدنا الله تعالى..

قد يبطل النصر لأن بنية الأمة المسلمة لم تنضج بعد، ولم يتم بعد تمامها، ولم تحشد بعد طاقتها، ولم تتحفز كل خلية، وتتجمع لتعرف أقصى المذخور فيها من قوى واستعدادات، فلو نالت النصر حينئذ لفقدته وشيكا لعدم قدرتها على حمايته طويلا .

وقد يبطل النصر، حتى تبذل الأمة المؤمنة آخر ما في طوقها من قوة، وآخر ما تملكه من رصيد، فلا تستبقي عزيزا ولا غاليا لا تبذله هينا رخيصة في سبيل الله .

وقد يبطل النصر حتى تجرب الأمة المؤمنة آخر قواها، فتدرك أن هذه القوى وحدها بدون سند من الله لا تكفل النصر، إنما يتنزل النصر من عند الله عندما تبذل آخر ما في طوقها، ثم تكل الأمر بعدها على الله .

وقد يبطل النصر لتزيد الأمة المؤمنة صلتها بالله، وهي تعاني وتتألم وتبذل، ولا تجد لها سندا إلا الله، ولا متوجها إلا إليه وحده في الضراء، وهذه الصلة هي الضمانة الأولى لاستقامتها على المنهج بعد النصر عندما يتأذن الله به، فلا تطغى ولا تنحرف عن الحق والعدل والخير الذي نصرها به الله .

وقد يبطل النصر لأن الأمة المؤمنة لم تتجرد بعد في كفاحها وتضحياتها لله ولدعوته، فهي نقاتل لمغنم تحققه، أو نقاتل حمية لذاتها، أو نقاتل شجاعة أمام أعدائها، والله يريد أن يكون الجهاد له وحده وفي سبيله، بريئا من المشاعر الأخرى التي تلابسه،

وقد سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، عن الرجل يقاتل حمية، والرجل يقاتل شجاعة، والرجل يقاتل ليرى، فأيهما في سبيل الله؟ فقال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)

كما قد يبطل النصر لأن الشر الذي تكافحه الأمة المؤمنة بقية من خير ، يريد الله أن يجرد الشر منها ليمحض خالصا ، ويذهب وحده هالكا، لا تتلبس به ذرة خير تذهب في الغمار .

وقد يبطل النصر لأن الباطل الذي تحاربه الأمة المؤمنة لم ينكشف زيفه للناس تماما، فلو غلبه المؤمنون حينئذ، فقد يجد له أنصارا من المخدوعين فيه، لم يقتنعوا بفساده، وضرورة زواله، فنظل له جذور في نفوس الأبرياء الذين لم تنكشف لهم الحقيقة فيشاء الله أن يبقى الباطل حتى يتكشف عاريا للناس، ويذهب غير مأسوف عليه .

وقد يبطل النصر لأن البيئة لا تصلح بعد لاستقبال الحق والخير والعدل الذي تمثله الأمة المؤمنة، فلو انتصرت حينئذ للقيت معارضة من البيئة ولا يستقر لها معها قرار، فيظل الصراع قائما حتى تنتهي النفوس من حوله لاستقبال الحق الظافر ولاستبقائه .

من أجل هذا كله، ومن أجل غيره مما يعلمه الله، قد يبطل النصر، فتتضاعف التضحيات، وتتضاعف الآلام، مع دفاع الله عن الذين آمنوا وتحقيق النصر لهم في النهاية .

وللنصر تكاليفه وأعباؤه حين يتأذن الله به بعد استيفاء أسبابه وأداء ثمنه، وتهيؤ الجو حوله لاستقباله واستبقائه:
(ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز. الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) فوعد الله المؤكد الوثيق المتحقق الذي لا يخلف: هو أن ينصر الله من ينصره، فمن هؤلاء الذين ينصرون الله؟ فيستحقون نصر الله القوي العزيز الذي لا يهزم من تولاه

المصادر: